متابعات

د. أحمد فوزي المرايات

هوية وذكريات [١]

عندما يستطيع الإنسان أن يقرر لوحده – دون إله – ما هو الخير وما هو الشر ، يمكنه عندها أن يقرر أيضاً أن مجموعة من البشر يجب أن تُباد . إن مثل هذه القرارات قد اتخذت من أناس « الرايخ الثالث – الحكم النازي » وصلوا إلى السلطة بطريقة ديمقراطية ثم استخدموا هذه السلطة لتنفيذ برامج الإيديولوجية النازية العنصرية ..

وهناك قرارات مشابهة في الاتحاد السوفييتي والدول الشيوعية الأخرى الخاضعة لنفس الإيديولوجية اتخذت من قبل الحزب الشيوعي . بهذا الشكل نفذت عمليات إبادة اليهود ومجموعات أخرى مثل '' الـ Roma '' والفلاحين الأوكرانيين ورجال الدين المسيحيين في روسيا من الأرثوذكس والكاثوليك وكذلك في روسيا البيضاء وفي منطقة الأورال . وبنفس الشكل صُفّي أو لوحق كل المخالفين لهذه الأنظمة ؛ على سبيل المثال مقاتلي عام ١٩٣٩م ، وجنود الجيش الوطني في بولونيا بعد الحرب العالمية الثانية ، وكذلك النخبة المثقفة التي خالفت التوجهات النازية أو الشيوعية .

(١) عن كتاب البابا بولس الثاني '' هوية وذكريات Erinnerung und Identität '' الذي صدر في أوائل هذا العام ٢٠٠٥م – باب '' حدود الشر '' ص ٢٥-٢٦ .

وقد كانت التصفيات في الغالب فيزيائية (جسدية) ولكنها في بعض الأحيان كانت تصفيات بالمعنى الأخلاقي للإنهاء ، حيث منع الإنسان من التعبير عن أفكاره أو نالت هذه الأنظمة من حقوقه بطرق ظالمة .

عند هذه النقطة لا يستطيع الإنسان إلا أن يلفت النظر إلى مشكلة ذات أهمية خاصة في هذه الأيام وهي مؤلمة بحد ذاتها ذلك أنه بعد انهيار الأنظمة التي كانت تستند إلى إيديولوجيات شريرة توقفت عمليات الإبادة المشار إليها آنفاً .. ولكن الأمر الذي استمر في الواقع هو قتل الأجنة القانوني في الأرحام أي قتل البشر قبل أن يلدوا .

وفي هذه المرة يتعلق الأمر بتصفيات صدرت قراراتها من برلمانات منتخبة ديموقراطياً واعتمدت في تبريراتها على حقوق الإنسان وعلى التقدم الحضاري للمجتمعات بل للبشرية جمعاء!؟ .

ولا يعجزنا ذكر أشكال أخرى شديدة من التعدي على حقوق الله في التشريع . وأذكر على سبيل المثال الضغط الشديد الذي مارسه البرلمان الأوروبي للاعتراف بالارتباطات الجنسية المثلية كشكل بديل للارتباط الأسري الطبيعي وإعطاء هؤلاء " المثليين " أيضاً حق التبني! .

إنه من المسموح بل من المطلوب أن نسأل فيما إذا كانت هناك أموراً تدس في الخفاء أو أن إيديولوجيات شريرة جديدة تتحرك ضد الأسرة والإنسان مستغلة موضوع حقوق الإنسان ؟! .

لماذا يحصل كل هذا ؟ ما هي جذور هذه الإيديولوجيات ؟ الجواب باختصار سهل!

هذا يحصل لأن الله كخالق وبذلك كمقرر لما هو خير للبشر وما هو شر لهم قد تخلى عنه هؤلاء .